

# الاقْتِباسُ القرآني

في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشر (رحمته الله)



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٤٢٠٨ لسنة ٢٠١٧

سلسلة دراسات في عهد الإمام

علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) (٢٨)

وحدة الدراسات اللغوية

# الاقتباس القرآني

في عهد الامام علي (عليه السلام) الى مالك الاشتر (رضي الله عنه)

تأليف

أ. م. د. خولة مهدي الجراح

إصدار  
من سلسلة دراسات في عهد الإمام  
علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)  
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة  
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1439 هـ - 2017 م



---

العراق - كربلاء المقدسة - شارع السدرة مجاور مقام علي الأكبر

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: 07728243600 - 07815016633

الموقع الإلكتروني: [www.inahj.org](http://www.inahj.org)

الإيميل: [Inahj.org@gmail.com](mailto:Inahj.org@gmail.com)

---

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا

تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة:

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما أهدى،  
والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ  
آلاء أسداها، والصلاة والسلام على خير الخلق  
أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فإنّ من أبرز الحقائق التي ارتبطت بالعترة  
النبوية هي حقيقة الملازمة بين النص القرآني  
والنص النبوي ونصوص الأئمة المعصومين  
(عليهم السلام أجمعين).

وإنّ خير ما يرجع إليه في المصاديق لحديث  
الثقلين «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» هو صلاحية

النص القرآني لكل الأزمنة متلازماً مع صلاحية النصوص الشريفة للعترة النبوية لكل الأزمنة.

وما كتاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) لمالك الأشتر (عليه الرحمة والرضوان) إلا أنموذجاً واحداً من بين مئات التي زحرت بها المكتبة الإسلامية، والتي اکتنزت في متونها كثيراً من الحقول المعرفية مظهرة بذلك احتياج الإنسان إلى نصوص الثقلين في كل الأزمنة.

من هنا:

ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تخصص حقلاً معرفياً ضمن نتائجها المعرفية التخصصية في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره، متخذة من عهده الشريف إلى مالك الأشتر (رحمه الله) مادة خصبة للعلوم

الإنسانية، التي هي من أشرف العلوم وعليها يقع مدار بناء الإنسان وإصلاح متعلقاته الحياتية؛ وذلك ضمن سلسلة بحثية علمية موسومة بـ(سلسلة دراسات في عهد الإمام علي عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله)، التي ستصدر بإذن الله تباعاً، حرصاً منها على إثراء المكتبة الإسلامية والمكتبة الإنسانية بتلك الدراسات العلمية، والتي تهدف إلى بيان أثر هذه النصوص في بناء الإنسان والمجتمع والدولة، متلازمة مع هدف القرآن الكريم في إقامة نظام الحياة الآمنة والمفعمة بالخير والعطاء والعيش بحرية وكرامة.

وكان البحث الموسوم بـ(الاقتباس القرآني في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضوان الله عليه) واحداً من البحوث التي درست العلاقة القرآنية التي كان يمتاز بها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)،

فرصد هذا البحث مواطن الاقتباس القرآني في العهد الشريف، ولم يقف عند ذلك وإنما سعى جاهداً لبيان دقة توظيف المادة القرآنية في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام).

فجزى الله الباحثة خير الجزاء فقد بذلت جهدها وعلى الله أجرها، والحمد لله رب العالمين.

السيد نبيل الحسني الكربلائي  
رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة



## المقدمة :

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما  
ألهم، والثناء بما قدّم من عموم نعمٍ ابتدأها وسبوغ  
آلاءٍ أسداها، وتمام مننٍ أولاهها، والصلاة والسلام  
على الهادي الأمين محمدٍ وعلى أهل بيته الطيبين  
الطاهرين الهداة الميامين.

وبعد...

إن عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لوالية علي  
مصر مالك الأشتر، جاء في فترة زمنية تكاد تكون  
من أكثر أزمنة الإسلام عدلاً وإنصافاً للإنسان  
وحقوقه، وهي فترة خلافة الإمام علي (عليه السلام).

أراد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أن يكون هذا  
العهد خطاباً موجهاً لجميع حكام المسلمين، وغير  
المسلمين من خلال شخص واحد أراد أن يكون  
حاكماً على مصر، وهو مالك الأشتر، الصديق

الصدوق للإمام علي (عليه السلام) .

كما أن هذا العهد، الذي وضعه الإمام علي (عليه السلام) كدستور يسترشد به مالك الأشتر في حكم مصر قد دوّن في نهج البلاغة، وهو الكتاب الذي جمع فيه الشريف الرضي ما ثبت لديه من كلام جده علي بن ابي طالب (عليه السلام) . ورغم شمولية هذا العهد (الدستور) لكن الإمام علي (عليه السلام) خصّ به مالك الأشتر، فكم هي عظيمة مكانة مالك الأشتر عند الإمام؟ فمن هو مالك الأشتر؟ وما هي مكانته عند أمير المؤمنين علي (عليه السلام)؟ هذا ما سيتناوله البحث في المبحث الأول بعد بيان معنى الاقتباس، وماهية العهد عموماً ومشروعيته .

تنطلق فرضية الدراسة من نقطة مفادها أنّ للقران الكريم صورة لفظية ومعنوية في العهد، تراوحت ما بين الآيات القرآنية المقتبسة لفظاً مباشراً، والآيات القرآنية التي قد دخل عليها

التحوير، أو نقلت بالمعنى، موحدة في خطواتها ومتنوعة في اختيارها بحسب ما تتطلبه طبيعة السياق النصّي حتى تصل بذلك إلى نتائج علميّة مرضية ومستنطقه لكل ما يتضمّن ذلك العهد من اقتباسات وإشارات مثيرة، وإن جاء فيها تقصير أو غيره وما تتطلبه تلك الدراسة من صفاء نية وإخلاص لله تعالى فالتعامل معها يكون على حذر وتأمل.

أمّا المنهجية المعتمدة كانت عن طريق استقراء نص العهد وشرحه ثمّ ذكر النصّ القرآني المقتبس في هذا العهد فكان بحثي عبارة عن ثلاثة مباحث فكان المبحث الأول في بيان معنى الاقتباس في اللغة والاصطلاح، ومعنى المعاهدة ومشروعيتها في القرآن ومن ثم نبذة مختصرة عن حياة مالك الأشتر.

أمّا المبحث الثاني فتناولت فيه خصائص الاقتباس، وهي على نوعين: خصائص دلالية وخصائص فنية.

ثم المبحث الثالث الذي تطرقت فيه إلى وظائف الاقتباس وهي أيضاً على فرعين دلالية وفنية . وقد استقى البحث مادته العلمية من مصادر التراث العربي و البلاغة، وكتب التفسير وشرح نهج البلاغة ومصادر حديثة مهمّة أعانت البحث في تسليط الضوء على المقاربات بين العهد والقرآن الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## المبحث الأول

سوف يتطرق الباحث في هذا المبحث إلى تعريف الاقتباس لغة واصطلاحاً، ثم التعرف على ماهية المعاهدة ومشروعيتها، ومن ثم نبذة موجزة حول الصحابي الجليل مالك الأشتر.

### أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للاقتباس

#### ١- الاقتباس لغةً:

الشعلة، يُقال: خُذلي قيساً من نار<sup>(١)</sup>. وقال ابن فارس في مقاييس اللغة: (القاف والباء والسين أصل صحيح يدل على صفة من صفات النار، ثم

(١) ظ: العين: الفراهيدي: ١ / ٣٨٣

يستعار من ذلك القبس: شعلة النار<sup>(١)</sup> كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى﴾<sup>(٢)</sup>.

## ٢- الاقتباس اصطلاحاً:

هو أن يُضمَّن الكلام (شعراً كان أم نثراً) شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف<sup>(٣)</sup>. وقد عرفه الرازي (ت ٦٠٦هـ): (هو أن يضمن الكلمة من القرآن الكريم أو آية منه في الكلام تزيناً لنظامه وتفخيماً لشأنه)<sup>(٤)</sup>، وقد وسع العلامة الحلبي (ت ٧٢٥هـ) ذلك ليشمل الحديث الشريف، فيقول: (هو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو

(١) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: ٣٩ / ٥

(٢) سورة طه، الآية: ١٠

(٣) ظ: الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني: ٣٨١ / ١

(٤) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازي: ١٤٧

الحديث ولا ينبه عليه للعلم به<sup>(١)</sup>، وقد حصر بعض العلماء الاقتباس على القرآن الكريم وحده<sup>(٢)</sup>.

هناك بعض من العلماء يُقرن الاقتباس بالتضمن منهم، (ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ)، و(أسامة بن المنقض (٥٨٤)، والتضمنين هو: (أن يأخذ المتكلم كلاماً من كلام غيره يدرجه في لفظه لتأكيد المعنى الذي أتى به، فإن كان كلاماً كثيراً أو بيتاً من الشعر فهو تضمين وإن كان كلاماً قليلاً أو نصف بيت فهو إبداع)<sup>(٣)</sup>. ففي قول الحريري: (أنا أنبئكم بتأويله، وأميز صحيح القول من عليه)<sup>(٤)</sup>، حيث ضمن فن خطابه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾<sup>(٥)</sup> ومعناه

(١) حسن التوسل إلى صناعة الترسل: العلامة الخلي: ٣٢٣

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم المدني: ٢/ ١١٢

(٣) الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان: ابن قيم الجوزية: ٤٥

(٤) ظ: الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني: ١/ ١٢٩

(٥) سورة يوسف: آية ٤٥

غالباً ما يستمد الشعراء والخطباء رؤاهم الإبداعية من نور هدى القرآن الكريم، فيقتبسون ما ينير مقاصدهم البارزة في رسالاتهم، ويقوم ألسنتهم في إبراز الذوق البياني الرفيع بأي شكل من أشكال الاستمداد القرآني فقد يكون استمداداً لفظياً أو فنياً أو معنوياً أو بيانياً وغير ذلك كما سيتضح في بيان الخصائص الاقتباسية ووظائفها.

### ثانياً: ماهية المعاهدة ومشروعيتها

بدأ ظهور المعاهدات الدولية كوسيلة اتصال بين الشعوب منذ العصور القديمة، حيث عرفت منذ مصر الفرعونية وبابل وآشور، فكانت على شكل معاهدات تحالف أو صلح.

تطلق المعاهدة الدولية على العقد الذي يتألف من دولتين أو أكثر، وموضوعها القواعد العامة للقانون الدولي أو المقررات المتعلقة بالموضوعات



الخاصة في العلاقات الدولية<sup>(١)</sup>.

وقد عرّف القانون المعاهدة على أنها: (اتفاق يكون أطرافه الدول أو غيرها من أشخاص القانون الدولي، ممن يملكون أهلية إبرام المعاهدات، ويتضمن الاتفاق إنشاء حقوق والتزامات قانونية على عاتق أطرافه، كما يجب أن يكون موضوعه تنظيم علاقة من العلاقات التي يحكمها القانون الدولي)<sup>(٢)</sup>.

### خصائص المعاهدة

تتضح من خلال التعريف السابق خصائص المعاهدة، وهي:

١- الاتفاق: يبرز مجموعة التزامات تصدر من الأطراف المتعاهدة تكون بمثابة الكلمة القانونية

(١) ظ: الزنجاني/ القانون الدولي في الإسلام/ ٤٤٢

(٢) عبد الكريم علوان/ الوسيط في القانون الدولي العام/ ٢٥٩

التي يتوقف عليها بنود أو شروط الاتفاق، ويعد التجاوز عليها خلاف ذلك التعهد أو الاتفاق، ويكون مدعاة لإلغاء الطرفين لها لعدم الوفاء بالاتفاق ولا بد أن تنص تلك المعاهدة على اتفاقات مجدولة.

٢- إنشاء حق: هذا الاتفاق لا بد وأن يخطط لحالة قد تعدى عليها أطراف أو خشية التعدي عليها فبالأخير هي تنظم لدفع أو جلب منفعة (إنشاء حق).

٣- تنظيم علاقة: وحاصل تلك الوثيقة المنشئة للحق تنظيم أمور الدول وتكون بمثابة خط الشروع نحو تحقيق حالة من الاستقرار والأمان الاجتماعي من خلال تنظيم بنود المعاهدة على شكل اتفاقيات - علاقات - قانونية معتمدة.

نلمس هذه الخصائص جلية وواضحة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لملك الأشر.

## مشروعية المعاهدة:

جاءت الآيات القرآنية متعددة للدلالة على مشروعية المعاهدات، منها:

١ - قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾<sup>(١)</sup>.

٢ - قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾<sup>(٣)</sup>.

٤ - قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الإسراء: ٣٤

(٢) البقرة: ٤٠

(٣) البقرة: ١٧٧

(٤) التوبة: ٤

هذا هو حكم الإسلام في المعاهدات التي توقعها الدولة الإسلامية حتى مع الدول الأخرى لحفظ السلام، فنحن مطالبون بالوفاء بها، وعدم نقضها، إلا إذا نقضها الطرف الآخر، أما إذا لم ينقضها ولم يظهر على عداة المسلمين، فعلى المسلمين الوفاء لهم، إذ ليس هناك من وسيلة أكثر فاعلية من المعاهدة في التنظيم العادل للعلاقات الدولية.

### ثالثاً: نبذة مختصرة عن حياة مالك الأشتر

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة إلى جده النخع، ولقد اشتهر مالك (بالأشتر) حتى يكاد يطغى على اسمه الحقيقي ولا يُعرف إلا به، وكنيته أبو إبراهيم. وقد لُقّب بالأشتر وكبش العراق، وهناك روايتان في كيفية شتر عينه، الأولى: إن عينه شُتت في حروب الردة في جهاده عن الإسلام عندما ضربه أبو مسيكمه على رأسه . والرواية الثانية إن عينه شُتت في وقعة اليرموك ،

عند مبارزته لرجل مشرك من الروم وقتله .. وربما تكون عينه قد فقئت في حروب الردة ثم أصيبت ثانية في معركة اليرموك . ولُقب كذلك (بكباش العراق) ، وقد أوردته الرازي في مختار الصحاح ونصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين<sup>(١)</sup> .

ويستدل من بعض القرائن إن ولادة مالك كانت لما يقرب من عشرين سنة سبقت البعثة النبوية الشريفة وأنه كان معروفاً ومشهوراً في عهد النبي (ﷺ)<sup>(٢)</sup> . وقد ولد في بيته الواقعة في أعلى اليمن وهي بلاد ذات خصب ونخيل وأشجار وعيون ماء<sup>(٣)</sup> .

وشخصية مالك الأشتر شخصية الرجل

(١) ظ: نجاح عبيد حسون/ مالك الأشتر: سيرته والحضارة

الإسلامية/ ٣٠-٣٣

(٢) ظ: نجاح عبيد حسون/ مالك الأشتر: سيرته والحضارة

الإسلامية/ ٣٠.

(٣) م.ن/ ٣٤

الشجاع الذي يفرض نفسه في كل موقف، وهو الذي لم تُرد له راية او ينكسر له جيش<sup>(١)</sup>. وقد قال فيه ابن أبي الحديد: (لله در أم قامت عن الأشر ، لو أن إنسانا يقسم أن الله ما خلق في العرب ولا في العجم أحداً أشجع منه إلا أستاذة علي بن أبي طالب لما خشيت عليه الإثم...) <sup>(٢)</sup>. وقد قتل يوم اليرموك أحد عشر رجلاً من بطارتهم وقتل ثلاثة منهم مبارزةً. ومما يُحسب له قتله للعلاج الرومي في الشام، والذي لم يستطع أحد أن يبارزه<sup>(٣)</sup>. ومما يؤثر عنه عند إعادته إلى ميمنة أهل العراق عند هزيمتهم في وقعة صفين فهي شجاعة وتأثير في الناس الذين أعادهم وهذه دلالة على قيادة حازمة وثقة كبيرة من الجيش بشخصيته . وقوله للإمام علي (عليه السلام)

(١) م.ن/ ٣٨

(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ٢/ ٢١٣

(٣) ظ: نجاح عبيد حسون/ مالك الأشتر: سيرته والحضارة

عندما انشق عليه الجيش في وقعة صفين وقد صار قاب قوسين أو أدنى من النصر (أحمل الصف على الصف تصرع القوم)<sup>(١)</sup>، هي شجاعة قلّ نظيرها، وقد اتفقت جميع المصادر التي ذكرت جانباً من حياة مالك الأشتر على شجاعته<sup>(٢)</sup>.

وقد استشهد رحمه الله مسموماً بتدبير من معاوية بن أبي سفيان وهو في طريقه إلى مصر لتسلم إمارتها بناءً على أمر أمير المؤمنين علي (عليه السلام)<sup>(٣)</sup>.. وقد حدث هذا سنة ٣٧ هـ على رواية أو سنة ٣٨ هـ برواية أخرى. وقد شهد مع الإمام علي (عليه السلام) صفين والجمل ومشاهده كلها<sup>(٤)</sup>.

وكما اختلف في سنة وفاته، فقد اختلف في مكان

(١) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ٢/ ٢١٩

(٢) م.ن/ ٤٠

(٣) خواند أمير/ تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد بشر/ ١/ ٥٦٨

(٤) ظ: نجاح عبيد حسون/ مالك الأشتر: سيرته والحضارة

الإسلامية/ ١٥٣.

وفاته، وأختلف في موضع قبره، فمنهم من يرى أنه في القلزم، ومنهم من يقول انه في العريش، ومنهم من قال انه في بعلبك، وآخرون ادعوا انه في المدينة المنورة<sup>(١)</sup>.

وقال (عليه السلام) وقد جاءه نعي الأشرتر رحمه الله: (مالك وما مالك . والله لو كان جبلاً لكان فنداً (أي جبلاً عظيماً)، ولو كان حجراً لكان صليداً . لا يرتقيه الحافر، ولا يُوفي عليه الطائر)<sup>(٢)</sup>. وقال فيه أيضاً: (إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر، كان رجلاً لنا ناصحاً، وعلى عدونا شديداً ناقماً . فرحمه الله، فلقد استكمل أيامه ولاقى حمامة، ونحن عنه راضون . أولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له)<sup>(٣)</sup>. وقوله: (على مثلك فلتبك البواكي يا مالك وأنى

(١) م.ن/ ١٧٨

(٢) لبيب بيضون/ تصنيف نهج البلاغة/ ٥٧٧

(٣) لبيب بيضون/ تصنيف نهج البلاغة/ ٥٧٦



مثل مالك<sup>(١)</sup>، و (رحم الله مالكا فلقد كان لي كما كنت لرسول الله ﷺ)<sup>(٢)</sup>.

### شيء عن عهد الإمام علي (عليه السلام) لأشتر النخعي

في هذا العهد ، وكما جاء في تقديم الشريف الرضي له (ومن عهد له عليه السلام كتبه لأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب محمد بن ابي بكر وهو أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن) ، وقد ابتدأه عليه السلام بالبسملة ثم «هذا ما أمر به عبد الله عليُّ أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهد إليه حين ولاه مصر ...»<sup>(٣)</sup>.

نلاحظ إن الإمام علي (عليه السلام) قد ابتدأ عهده بالأمر وشرع بهذا الأمر يُعدد الواجبات التي ينبغي على مالك الأشتر القيام بها ، والأمور التي

(١) اليعقوبي/ تاريخ اليعقوبي/ ٢/ ١٩٤

(٢) م.ن/ ١٧٣

(٣) محمد عبدة/ شرح نهج البلاغة/ ٣/ ٨٢-٨٣

عليه مراعاتها، وحقوق الناس التي يجب تأديتها .  
ويبين له (ﷺ) أن الحاكم ما هو إلا مسئول مؤتمن  
على حقوق الناس وخدمتهم، وعدل الحاكم هو ما  
يوجب على الرعية إتباعه . والمتدبر في قراءة العهد  
يجد أن الإمام علي أنكر أن يكون الحاكم والحكومة  
سلطة متجبرة متسلطة على رؤوس الناس بل ان  
يكون الحاكم والحكومة في خدمة الناس ومداراتهم،  
وإلا تحولت الحكومة إلى منصب دنيوي يلهث  
وراءه كل من يحب الدنيا ومغرياتها ، وكل باحث  
عن جاهٍ، وهذا ما حذر منه الإمام علي (ﷺ) ونبه  
عليه، وخوَّف من عاقبته في الدنيا والآخرة .

وقد نال هذا العهد من الاهتمام والدراسة  
والتمحيص والتفسير والشرح والبيان ما لم ينله  
نص آخر مماثل له في التوجه على مر العصور ، وقد  
تُرجم إلى كثير من لغات العالم ، وفي بعض اللغات  
تُرجم وشرح مراراً وتكراراً ، وهذا دليل على قيمة

المعاني الإنسانية العظيمة التي يحتويها هذا العهد ،  
وتناوله مختلف شؤون الحياة أولاً ، وواجبات الحاكم  
والحكومة ثانياً .

وقد خطَّ أمير المؤمنين في خاتمة عهده إلى  
مالك الأشتر داعياً: (وأن يختم لي ولك بالسعادة  
والشهادة)<sup>(١)</sup> ، وقد أستجيب دعاؤه بحقه وبحق  
مالك الأشتر .

لقد أكد الإمام علي (عليه السلام) في عهده للأشتر على  
جملة من القواعد والقوانين التي تُدار وتُحكم من  
خلالها الدولة ، وتُراعى شؤون الرعية، فحينما توجه  
مالك لإدارة شؤون مصر كان مزوداً بدستور حكم  
ناضح ومكتمل القواعد والشروط، وبما يوفر  
العدل والمساواة ويحفظ كرامة الإنسان وحقوقه ،  
ويؤكد على عمارة البلاد واستصلاحها ، والابتعاد  
عن الطمع وحب الشهوات ، والالتزام بالذكر

الحسن ، والعمل الصالح . كما أكد العهد على الرحمة بالرعية واللطف بهم ، وعدم ظلم الآخرين . وقد أوصى الإمام مالكاً إلى الحذر من دعوة المظلوم ، والى عدم المساواة بين المحسن والمسيء ، والى مدارس العلماء والحكماء .. وأراد منه أن يولي اهتماماً خاصاً بذوي الحاجات والمسكنة والفقراء ، وأن يعمل على بث العيون لمراقبة الحكام ، وليس مراقبة المحكومين كما تفعل الأنظمة المستبدة على مر العصور، وأن يعمل على مداراة اليتامى وكبار السن، والابتعاد عن المنّ على الرعية والتواضع ونشر العدل والإنصاف والعفو والصفح، وقضاء حاجات الناس، وقول الحق ، والعمل على نشر المساواة بين الناس، فالناس إما أخ لك في الدين او نظيرٌ لك في الخلق، وموضوعات أخرى كثيرة وردت في هذا العهد الذي أنفذه الإمام علي إلى مالك الأشرر ليكون دستور حكم يعتمد عليه في حكم مصر.

## المبحث الثاني

### خصائص الاقتباس

خصائص الاقتباس تكون على قسمين:

أ- خصائص دلالية.

ب- خصائص فنية.

#### أ- الخصائص الدلالية للاقتباس:

التي تمثل إضاءة لصور الاقتباس وعمقها، والمتحقق بفعل عرض خصائصها التي استهدفت المنح الدلالية لبنى الاقتباس في النصوص، وتجلّى في بعض الخصائص التي انطوت تحت جناح المستوى الدلالي وهي:

### ١- تغيير المفردة تبعاً لمقتضى السياق:

المفردة القرآنية مقدسة عميقة الدلالة، ولها تأثير في نفس المتلقي، لها قدرة على بث المعاني والدلالات المكتنزة فيها، وحملها للمعاني التي يطول شرحها، فإذا أراد المتكلم الاعتيادي التعبير عن مثل هذه المعاني التي أرادها القرآن لم يصل بغيته إلا بلفظ حول توضيحها في كلام الأئمة (عليهم السلام) كما جاء في نهج البلاغة والصحيفة السجادية.

ومن أمثلة ذلك نجد في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر في الإنصاف لله وللناس من نفسه ومن خاصة أهله، ومن له فيه هوى من رعيته، وإن لم يفعل يظلم، وإن الله تعالى للظالمين بالمرصاد: (أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيته، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خصمه الله أدحض حجته وكان لله

حرباً حتى ينزع ويتوب . وليس شيء أَدعى إلى تغيير  
نعمة الله وتعجيل نِقْمته من إقامة على ظلم ، فإن الله  
سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد<sup>(١)</sup>.

نجد الإمام (عليه السلام) قد اقتبس مفردة (بالمرصاد)  
من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾<sup>(٢)</sup> إِنَّ مَعْنَى  
قول الإمام (عليه السلام) جاء في حكم الظالم وجزاءه عند الله  
سبحانه وتعالى، فكان الله له بالمرصاد.

فقد جاء المقتبس منسجماً والسياق العام للعهد،  
وذلك أن الله سبحانه كان بصدد الكلام عن فرعون  
ذي الأوتاد ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا  
فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ  
رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾<sup>(٣)</sup> وهذه  
صفات الظالم المكثّر للفساد وما الله إلا له بالمرصاد.

(١) الإمام علي (عليه السلام) / نهج البلاغة / ٣ / ٨٥

(٢) الفجر: ١٤

(٣) الفجر: ١٠-١٤

ومن ذلك أيضا قوله (ﷺ) في الحديث عن مصداق من مصاديق العمل الصالح الذي حثَّ واليَهُ مالِك عليه وهو (شح النفس) في قوله (ﷺ): (ثم اعلم يا مالِك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور . وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم . وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده . فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح . فأملك هواك ، وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت) <sup>(١)</sup> فاقتبس الإمام (ﷺ) مفردة (الشح) من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ



وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ والشح بالنفس هو البخل بها عن الوقوع في غير الحل ، فليس الحرص على النفس إيفاءها كل ما تحب ، بل من الحرص عليها أن تحمل على ما تكره إن كان ذلك في الحق ، فرب محبوب يعقب هلاكاً ومكروه يجمد عاقبة.

## ٢- التنوع الدلالي بتغيير مواقع الاقتباس

احتلت النصوص القرآنية في عهد الإمام (عليه السلام) مواقع مختلفة تبعاً لاختلاف سياقي الحال والمقال، فأفضت إلى هبات دلالية أمتاز بها كل موقع دون سواه كقوله (عليه السلام) في رد الأمور بعد التنازع إلى الله ورسوله (ﷺ): (واردد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنِ

تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴿١﴾ فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه ، والرد إلى الرسول الأخذ بستته الجامعة غير المفرقة (٢)

إن نص كلامه (عليه السلام) في معرض رد ما يشتهه على الحاكم من الأمور إلى محكم كتاب الله وسنة نبيه ، وإن السياق جاء متوافقاً مع النص القرآني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣)

والإمام علي (عليه السلام) يؤسس هنا لقاعدة قرآنية مهمة وهي إرجاع المتشابه إلى المحكم وليس عدم

(١) النساء: ٥٩

(٢) الإمام علي (عليه السلام) / نهج البلاغة / ٣ / ٩٣

(٣) النساء: ٥٩

العمل به كما يجد ذلك بعض العلماء<sup>(١)</sup>.

ومثله أيضاً قوله (عليه السلام) في خلف الوعد: (وإياك والمن على رعيتهك بإحسانك، أو التزويد فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان، والتزويد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال الله تعالى ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> (٣).

فسياق الآية القرآنية تداخل مع سياق الوصية بحيث لم ينفصل أحدهما عن الآخر فجسدت الآية القرآنية مفهوم الوصية بأكملها من الدعوة إلى الوفاء بالعهد؛ ذلك أن عدم الوفاء والخلف به يوجب مقت الله وهو بغضه وسخطه .

(١) ظ: الطباطبائي / الميزان / ٣ / ٣٣ ، محمد باقر الحكيم / علوم

القرآن / ٢٠٤

(٢) الصف: ٣

(٣) الإمام علي (عليه السلام) / نهج البلاغة / ٣ / ١٠٩

٣- التنوع الدلالي بتنوع الأساليب وتغير الاشكال:  
 إن الدلالة تبع للشكل والأسلوب عند القدماء،  
 ويأتي هذا عبر السياقات المختلفة بدءاً من المفردة  
 وانتهاءً بالجملة، أخذت هذه الأساليب أشكالاً  
 عديدة في تنوعها، لتعكس في قراءة نص العهد  
 فيقتضي أضواءً متنوّعة الدلالة والتعبير فكان  
 الاقتباس الجزئي من الآية ودلالته في النصّ حضوراً  
 بارزاً مع ما كان يستحضر جزءاً من الآية، لأنّه  
 كان تفعيلاً وإنعاشاً للنصّ لما يحمل من إشارات  
 ودلالات مكثّفة من عهده (عليه السلام) لواليه على مصر  
 مالك الأشتر (رضي الله عنه) كما في قوله (عليه السلام): (وأمره أن  
 يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات،  
 فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله) (١) فقد  
 ختم كلامه بالكلمات القرآنية المقتبسة من قوله  
 تعالى: ﴿وَمَا أَبْرِيْ نَفْسِيْ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ

إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾.

كان نص العهد هنا هو أمر الإمام (عليه السلام) واليه بكسر نفسه من الشهوات، وكفها عن مطامعها إذا جمحت عليه فلم تنقد لقائد العقل الصحيح و الشرع الصريح، وقد ضمنه جزءاً من النص القرآني حول أمارة النفس بالسوء ليكون نصاً متناسقاً في الشكل والمضمون.

#### ب- خصائص الاقتباس الفنية:

تُعدّ اللغة وسيلة من أهم وسائل التعبير عن الإحساس، وما يعتري النفس من خلجات، إلا أنّها بجانب ذلك كلّها تغدو وسيلة فنية لها خصوصية جمالية عند الأديب المقتدر فتصبح ذات أثر وتأثير كبيرين في المتلقي ويختلف هذان الأمران من أديب

إلى آخر<sup>(١)</sup>، واللغة ليست مدلولاً معنوياً فقط إذ  
(ليس الشأن في إيراد المعاني وحدها، وإنما هو جودة  
اللفظ....)<sup>(٢)</sup>.

والخصائص الفنية سمات كثيراً ما اتصفت بها  
النصوص الدينية، إذ هناك حميمية بين الغرض  
الديني والغرض الفني، فيجعل منه وسيلة للتأثير  
والتمكين قصد الاستجابة، والإذعان، ذلك أنّ  
للإنسان جانباً وجدانياً فلا مناص من مخاطبة هذا  
الجانب بلغة النظر الفني وجماله<sup>(٣)</sup>.

وانتظمت الخصائص الفنية للاقتباسات في  
أدعية الصحيفة السجادية في مستويين هما المستوى  
الموسيقي والمستوى البلاغي.

(١) كاظم عبد فريح الموسوي / الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة

دراسة أسلوبية / ١٤٢

(٢) أبو هلال العسكري / الصناعتين / ٦٥

(٣) ط: كمال أبو ديب / في البنية الإيقاعية للشعر العربي / ٣١٩

## أ- المستوى الموسيقي :

يكشف لنا هذا المستوى أثر إيقاع الحروف والكلمات المقتبسة في النَّصِّ وجمالته ، سواء أكانت تؤثر فيه أم هي التي تتأثر ، وأثر ذلك في المتلقى ، انطلاقاً من أن اللغة لما كانت (ظاهرة صوتية تختلف اختلافاً كلياً عن سائر الرموز الأخر غير اللغوية)<sup>(١)</sup>.

ف نجد الإمام (عليه السلام) في خطبه ورسائله الكثيرة في نهج البلاغة ومنها عهده إلى مالك الأشتر قد اقتبس الآيات القرآنية التي تلاءم النَّصِّ ، كما في قوله (عليه السلام) في أهمية النظر إلى عظم ملك الله وقدرته وذلك في خفض الجماح والنشوز، وإرجاع ما غاب من العقل، حيث قال: (وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو خيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك

(١) محمد بو عمامة / الصوت والدلالة - مجلة التراث العربي / عدد ٨٥

، فإن ذلك يطامن إليك من طمأحك ، ويكف  
 عنك من غربك ، ويفيء إليك بما عذب عنك من  
 عقلك<sup>(١)</sup> هنا اقتبس الإمام (عليه السلام) مفردة (يفيء) من  
 قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا اللَّيْطِيَّ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى  
 أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا  
 إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وقد اقتبس الإمام (عليه السلام)  
 هذه المفردة لدلالاتها على معنى الرجوع<sup>(٣)</sup>، فجاءت  
 في الآية الشريفة بمعنى (حتى ترجع إلى أمر الله)<sup>(٤)</sup>  
 وكذا في كلامه (عليه السلام) بمعنى ويرجع إليك ما غاب  
 من عقلك.

ومعنى كلامه (عليه السلام) في نصيحته للأشتر: أنه إذا

(١) نهج البلاغة/ ٣/ ٨٥

(٢) الحجرات: ٩

(٣) ظ: الفراهيدي/ العين/ ٨/ ٤٠٧ ، أبو هلال العسكري/ الفروق

اللغوية/ ٣٤١ ، ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة/ ٤/ ٤٣٥ ،

الزمخشري/ أساس البلاغة/ ٧٣٥

(٤) ابن الأنباري/ الزاهر في معاني كلمات الناس/ ٤٤٦



أصابته العظمة والكبرياء، والخيلاء والعجب بسبب السلطة والحكم، فليُنظر إلى ملك الله العظيم فوقه، وقدرته التي لا تدانى؛ لأن ذلك يخفض الشوز والجماح، ويكف الحدة، ويرجع ما غاب من العقل.

### ب- المستوى البلاغي:

يتمحور هذا المستوى بالاهتمام حول محاولة التّعرف على نمط بعض الأساليب البلاغية التي ظهرت كخصائص دون سواها في عملية الاقتباس، وليس الأمر معنياً بالوقوف عند التقسيمات البلاغية، وبعنواناتها المتعارف عليها، فالاهتمام ينصبّ على ما يتعلّق بعملية الاقتباس أولاً، وبوضوحه كظاهرة بارزة ثانياً<sup>(١)</sup>، وقد أخذ الإمام (عليه السلام) صوراً مختلفة تباينت أشكالها بقدر اغتراف الإمام (عليه السلام) من معين القرآن الكريم غير المحدود فقد استقى الفكرة

(١) الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: كاظم

وتوسع في كلام على أساسها، فتارة يقتبس اللفظ ويوظفه في موقف آخر، وتارة أخرى يستعمل الشاهد القرآني بمعناه و مبناه أو كل ذلك يدل على مدى عمق المعرفة القرآنية عنده (عليه السلام) حتى انصهرت روحه فيها و اتصفت بها نتيجة ذوبانها .

ومن هذه الأساليب:

١- **الابتداء: ابتداء الشيء وبه افتتحه قدمه في العمل وفضله** (١) .

أشار علماء البلاغة إلى أن الأديب يجدر به أن يتأنق في ثلاثة مواضع في كلامه أحتى يكون أعذب لفظاً وأحسن سبكاً و أصح معنى؛ وهي الابتداء و التخلص و الانتهاء (٢) .

و الابتداء أن يكون مطلع الكلام شعراً أو نثراً أنيقاً بديعاً لأنه أول ما يقرع السمع فيقبل السامع

(١) ظ: لسان العرب: ابن منظور: ١٦/١

(٢) ظ: المعجم المفصل في علوم البلاغة: إنعام فوال عكاوي: ١٧

على الكلام ويعبه وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وإن كان في غاية الحسن<sup>(١)</sup>. ومن أمثلة ذلك وصيته (عليه السلام) لمالك بالنظر في أمور عماله وتوسعة الرزق عليهم فقال: (ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك)<sup>(٢)</sup>.

فقد اقتبس (عليه السلام) جزءاً من الآية (٢٠) من سورة لقمان واستهل به وصيته للأشتر؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾<sup>(٣)</sup> ففيه إجلال كامل لفعل الإسباغ بالنعمة وتفصيلاً من حيث كونها ظاهرة وباطنة، والإسباغ هو التوسعة في الرزق وإكماله؛ لذلك أمر (عليه السلام) واليه به لأن فيه

(١) ظ: معجم الاصطلاحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب: ٢١

(٢) نهج البلاغة/ ٣ / ٩٦

(٣) لقمان: ٢٠

قوة لعماله على استصلاح أنفسهم وحجة عليهم إن خالفوا أمره أو خانوا أمانته .

## ٢- التذييل بالآيات والأسماء الإلهية :

التذييل من الذيل آخر كل شيء وذيل فلان ثوبه تذيلاً أي طوله<sup>(١)</sup> وهو (أن يذيل الناظم أو الناثر كلامه بعد تمام كلامه و حسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام و تزيده توكيداً و تجري مجرى المثل بزيادة تحقيق)<sup>(٢)</sup> ، إذا يكون التذييل المقصود من البحث في عهد الإمام (عليه السلام) هو اختتام الكلام بآية من الكتاب العزيز أو جزء من ألفاظ الآية أو مفردات قرآنية فنجد الإمام (عليه السلام) قد ذيل مواضع قليلة من دعائه بآية قرآنية كاملة لكن في بعض الاقتباسات النصية المباشرة قد ذيل بعض الفقرات من العهد بتلك النصوص

(١) ظ: لسان العرب / ابن منظور: ١١ / ٢٦٠

(٢) المعجم المفصل في علوم البلاغة: إنعام فوال عكاوي: ٣٠٠

القرآنية لذا نجد الغالب في استعمال الإمام (عليه السلام) هو التذييل بجزء من آيات القرآن الكريم فالإمام (عليه السلام) قد جعل الكلام القرآني موافقاً و خلاصة لما يعنيه من كلامه السابق وهذا الأسلوب يكثر في استعمالات القرآن الكريم . ومن ذلك ما استعمله (عليه السلام) في تذييل قوله: (إياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته ، فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال)<sup>(١)</sup> .

فقد ذيل كلامه (عليه السلام) باقتباس مفردتين قرآنتين هما: جبار ومختال، وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرٌ مَّقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى

(١) نهج البلاغة / ٣ / ٨٥

(٢) غافر: ٣٥

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ  
وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ  
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿١﴾.

لقد اقتبس (عليه السلام) هاتين المفردتين وذيل بهما  
كلامه لما يكتمل البيان بهما، فهو (عليه السلام) في صدد  
التحذير عن مباراة الله سبحانه في عظمته، والتشبه به  
في جبروته، ومن هذه فعالة وصفه بالجبار والمختال  
اللذان وصف الله تعالى بهما من يجادل في آيات الله  
بغير سلطان، ومن يشرك بالله ولا يحسن لوالديه  
وللفئات المذكورة في الآية.

## المبحث الثالث

### وظائف الاقتباس في عهد الإمام

#### علي (عليه السلام) لمالك الأشتر

وظّف الإمام ما اقتبس من القرآن الكريم في نصوصه بطرق شتى عن طريق توظيف المعاني والدلالات والإشارات في الآية فاستحضارها لم يكن استحضاراً شكلياً بل هو توظيف دلالي وقصدية مرجوة و مبتغاة فلم يكن غرضه الأساس هو تزيين الشكل و إنّما الطلب المعنوي والشكل عنده يأتي عفويّاً تابعاً للمعنى فالنصّ ليس عملاً إبداعياً فقط إنّما هو (مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة)<sup>(١)</sup>.

(١) تحليل الخطاب الشعري - إستراتيجية التناص: محمد مفتاح: ١٢٠

ويدرك المتلقي لنصوص العهد الغرض الوظيفي المتعدّد الجوانب و الناتج عن تفعيل الخزين المعنوي للنصوص المقتبسة فيه ولا تقل أهمية الوظيفة عن أهميّة الإبداع باعتباره استثماراً لذلك الإبداع و يشمل المبحث نوعين من المستويات الوظيفية: المستوى الدلالي والمستوى الفني و بيان ما لهذين المستويين من أقسام و فروع .

### أولاً - الوظائف الدلالية :

يسلط الضوء في هذا المستوى على أبرز الاتجاهات الرئيسة في التوظيف الدلالي و المتمثل في أنماط وظيفية هي: وظيفة النصح و الإرشاد و وظيفة المعاهدة .

#### ١- وظيفة النصح والإرشاد:

إن أكثر ما يتسم به عهد الإمام علي (عليه السلام) ممالك الأشر هو وظيفة النصح والإرشاد، إذ جاء العهد كله بصيغة النصيحة عن طريق وصية؛ ذلك أنه كان وصية لحاكم مما يستلزم أن تكون نصوصه عبارة عن



نصح وإرشاد فيما يخص الحاكم والمحكوم والدولة، فنجد العهد قد شمل في النصيحة السلطات التي أسندها الإمام (عليه السلام) لمالك وهي: جباية الخراج وتعني الوظائف المالية والميزانية وخزينة الدولة، وجهاد العدو ويعني السياسة الخارجية والتعامل مع الدول الأخرى، واستصلاح الأهل ويعني السياسة الداخلية، وعمارة البلاد وتعني التنمية الاقتصادية .

أما السلطة الأولى فمنها أنه (عليه السلام) أوصى مالكا بعدم إدخال البخيل في مشورته بقوله: (ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله) (١) .

وقد اقتبس (عليه السلام) في شأن البخل من قوله تعالى:  
﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ<sup>(١)</sup> كَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:  
 ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ  
 يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

فنصيحة الإمام هنا بأن لا يدخل الحاكم في مجلس مشورته بخيلاً يعدل به عن الإحسان بالبذل ويخوفه من الفقر لو بذل؛ لأن من يخوف من الفقر هو الشيطان كما جاء في الآية الشريفة. فالإمام (عليه السلام) قد جمع في وصيته مفاد نصين قرآنيين أحدهما يتمم الآخر في الموضوع، وهذا ما يطلق عليه بالمنهج الموضوعي في أحد مجالاته وهو (المقالة التفسيرية).  
 أما السلطة الثانية - السياسة الخارجية - سوف نبحثها في الوظيفة التالية. وأما السلطة الثالثة سوف نببحثها في الوظائف الفنية.

(١) الحديد: ٢٤

(٢) البقرة: ٢٦٨

## ٢- المعاهدة:

العهد هو: (الوصية والتقدم إلى صاحبك بشيء، ومنه اشتق العهد الذي يكتب للولاة ويُجمع على عهود، وقد عهد إليه يعهد عهداً، والعهد: الموثق وجمعه عهود)<sup>(١)</sup> والعهد هو: الميثاق والذمة والاتفاق الملزم لأطرافه ويستوثق به ممن تعاهده.

وقد ورد العهد كثيراً على لسان الإمام (عليه السلام) لأهميته، كونه شرطاً في تحقيق الوفاء بينه وبين خالقه، أو من يجري معه العهد لا سيما مع الخصم، فقد استنكر الغدر ونكث عهود الأمان المعطاة للخصوم؛ لأن الوفاء بالعهود يقوي بطبيعة الحال حالة الاستقرار والأمن المتفشي بسبب عهد الأمان والصلح، كما أنه لا يسمح بأي خروقات.

قال الإمام (عليه السلام): (وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء،

(١) العين: الفراهيدي: ١ / ١٠٢

وارع ذمتك بالأمانة ، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود. وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر. فلا تغدرن بذمتك ، ولا تحيسن بعهدك ، ولا تختلن عدوك ، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي . وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته وحرىما يسكنون إلى منعه ويستفيضون إلى جواره. فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه . ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق ، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبه

فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك<sup>(١)</sup> وفي هذا المضمون جاء خطاب القرآن الكريم، والإمام (عليه السلام) في عهده يحاكي صفة الوفاء بالعهد، التي تُعدّ من الصفات الحميدة والمحبوبة عند الله تعالى، فقد جاء العهد والوفاء به في آيات كثيرة أورد البحث بعضاً منها في المبحث الأول ضمن مشروعية المعاهدة.

### ثانياً: الوظائف الفنية

يتعاضد التأثير الدلالي، والتأثير الفني في خلق الإفهام، والإمتاع عند المتلقي، ويمتازان فيما بينهما؛ ليوصلان إلى إضاءات تنير النص، وتكشف عن مضامينه، وتظهر جمالية بنائه بما له من آثار صوتية، أو تركيبية، أو تصويرية.

وينطلق الحديث في هذا المستوى من الحرف إلى الكلمة فالجملة، وما ينتج عنها من آثار بيانية،

(١) نهج البلاغة/ ٣/ ١٠٦-١٠٧

وهذا يعني حتمية البدء بالتوظيف الصوتي؛ لما له من علاقة بالحرف والكلمة، مروراً بالتوظيف النحوي؛ لعلاقته بالجملة، ثم الوقوف عند التوظيف البلاغي؛ لعلاقته بالأثر البياني للجملة العربية، وما بين الجمل من علاقات سياقية، ك(الصوتية والنحوية والبنية)<sup>(١)</sup>.

ويتمحور (التوظيف الفني) حول توظيف الجملة العربية وما يعترئها من تغيرات تفضي إلى تغيير في الدلالات، وتمتد تلك التغيرات ليدخل في حيزها كل ما تقدم ذكره من أحوال الجملة وما يستتبعه من أساليب بلاغية لها أثرها في العطاء الدلالي للجملة والنصوص.

ومثاله قول الإمام (عليه السلام): (وليكن أبعد رعتك منك وأشنؤهم عندك أطلبهم لمعائب الناس، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها. فلا تكشفن

(١) الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة: ٩٨

عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك. فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك<sup>(١)</sup>.

لقد استخدم الإمام (عليه السلام) هذه اللفظة (أشأنهم) التي تدل على البغض بصيغة اسم التفضيل (أَفْعَل)؛ وذلك لشدة البغض، كأن هناك حالات للبغض متساوية إلا أن أشدها هو ما ذكره الإمام (عليه السلام) فيما يخص أشد الناس طلبا للمعائب. وقد حوّل المفردة من صيغة اسم الفاعل كما وردت في قوله تعالى: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ<sup>(٢)</sup> إلى اسم التفضيل لشدة البغض.

(١) نهج البلاغة / ٣ / ٨٧

(٢) الكوثر: ٣

## الخاتمة

بعد رحلة البحث في رحاب عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) والاقتباسات القرآنية فيه، يخرج البحث بمجموعة من النتائج هي خلاصة لما تناوله البحث في المواطن السابقة، وهي:

١ - امتاز عهد الإمام علي (عليه السلام) بأن الإمام قد اتخذ فيه لنفسه منهجاً للبيان والإرشاد، فكانت نصوصه وثنائق ثقافية دينية تعلّم الناس أسلوب الرجوع إلى الله تعالى، وتلهب الروح، وتملأ القلب حبا لله وخشية منه عزّ وجلّ والتزاماً بأحكامه.

٣ - كان الإمام (عليه السلام) حريصاً على تبيين أهمية القرآن في حياة الإنسان عن طريق الإرشاد والموعظة، فكانت أدعيته تتضمّن اقتباسات قرآنية



لها خصائص دلالية وأخرى فنية، فكانت الخصائص الدلالية تمثل إضاءة لصور الاقتباس وعمقها.

٤- القرآن الكريم يحمل قيمة معنوية عالية وقداسة خطابية، ولقداسته وجماله نجد نصوص الإمام (عليه السلام) مستوحية منه وذلك يتضمن آيات قرآنية فيكون الاقتباس تارة نصياً مباشراً، وتارة اقتباساً معنوياً، وهذه الاقتباسات أضافت للنصوص جمالية كي يستمتع القارئ أو السامع للنص ويتأثر به .

٥- من خلال استقراء نصوص العهد تبين وبجلاء تركيز الإمام على وظيفة الحاكم وتعامله مع الرعية وفق السلطات التي أسندها الإمام له .

## المصادر والمراجع

خير ما نبتدى به القرآن الكريم

١- أساس البلاغة/ الزمخشري/ دار ومطابع الشعب- القاهرة/ ١٩٦٠ م .

٢- أنوار الربيع في أنواع البديع/ علي صدر الدين ابن معصوم المدني/ ط١- النعمان/ النجف الأشرف/ ١٩٦٨م/ تحقيق: شاكر هادي شكر .

٣- الإيضاح في علوم البلاغة/ جلال الدين القزويني/ شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي/ ط٥- منشورات دار الكتاب اللبناني- بيروت/ ١٩٨٠ م .

٤- تاريخ اليعقوبي/ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبي/ نشر: دار صادر- بيروت .

٥- تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناص/ محمد مفتاح/ دار التنوير للطباعة والنشر/ بيروت/ ١٩٨٥ م .

- ٦- تصنيف نهج البلاغة/ لبيب بيضون/ ط ٣/ مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي
- حسن التوصل إلى صناعة الترسل/ شهاب الدين محمود الحلبي/ تحقيق: أكرم عثمان يوسف/ دار الحرية/ بغداد/ ١٩٨٧ م .
- ٧- الزاهر في معاني كلمات الناس/ أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري/ تعليق: يحيى مراد/ منشورات محمد علي بيضون- بيروت/ ط ١/ ١٤٢٤ .
- ٨- شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد/ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/ منشورات مكتبة المرعشي
- ٩- الصناعتين/ أبو هلال العسكري/ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي/ مطابع عيسى البابي- مصر .
- ١٠- علوم القرآن/ محمد باقر الحكيم/ ط ٣/ مؤسسة الهادي- قم/ ١٤١٧ .
- ١١- العين/ الخليل بن أحمد الفراهيدي/ تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي/ ط ٢/ مؤسسة دار الهجرة/ ١٤١٠ .
- ١٢- الفروق اللغوية/ أبو هلال العسكري/ تحقيق:

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم / ط ١ / ١٤١٢ .

١٣- الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان/ ابن قيم الجوزية/ القاهرة/ ١٣٢٧ .

١٤- في البنية الإيقاعية للشعر العربي/ كمال أبو ديب/ ط ٢/ دار العلم للملايين/ ١٩٨١ م .

١٥- القانون الدولي في الإسلام/ عباس علي العميد الزنجاني/ تعريب: علي هاشم الأسدي/ ط ٢/ مؤسسة الطبع والنشر التابعة الأستاذة الرضوية المقدسة- مشهد/ ١٤٢٩ .

١٦- لسان العرب/ أبو الفضل جمال الدين ابن منظور/ ط ١/ دار المعارف للمطبوعات- القاهرة

١٧- مالك الأشتر: سيرته والحضارة الإسلامية في عصره/ نجاح عبيد حسون/ أطروحة دكتوراه جامعة سانت كلمنت .

١٨- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها/ أحمد مطلوب/ مطبعة المجمع العلمي العراقي/ بغداد/ ١٩٨١ م .

١٩- المعجم المفصل في علوم البلاغة/ إنعام فوال عكاوي/ مراجعة: أحمد شمس الدين/ دار الكتب العلمية-

بيروت/ ١٩٩٦ م .

٢٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ محمد

فؤاد عبد الباقي/ ط٣/ منشورات ذوي القربى/ ٢٠٠٤ م .

٢١- معجم مقاييس اللغة/ ابن فارس بن زكريا/

تحقيق: عبد السلام هارون/ ط١/ دار إحياء الكتب

العربية/ القاهرة/ ١٣٦٦ .

٢٢- الميزان في تفسير القرآن/ محمد حسين الطباطبائي/

منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية- قم .

٢٣- نهاية الإيجاز في دلالة الإعجاز/ فخر الدين

الرازي/ تحقيق: إبراهيم السامرائي ومحمد بركات حمدي/

دار الفكر للنشر والطباعة/ عمان/ ١٩٨٥ م .

٢٤- نهج البلاغة/ مجموع ما اختاره الشريف الرضي

من كلام سيد الوصيين علي بن أبي طالب (عليه السلام)/ شرح:

محمد عبده/ ط١- النهضة/ ١٤١٢ .

٢٥- الوسيط في القانون الدولي العام/ عبد الكريم

علوان/ ط٤/ دار الثقافة للنشر والتوزيع- الأردن/ ٢٠٠٩ م .

### الرسائل الجامعية:

٢٦- الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة دراسة  
أسلوبية/ كاظم عبد فريح الموسوي/ أطروحة دكتوراه/  
كلية التربية/ جامعة البصرة/ ٢٠٠٥ م .

### الدوريات:

٢٧- التناص بين عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر  
والرسالة الخاصة (في نصيحة الملوك) لسعدي الشيرازي/  
صبيح مزعل جابر المالكي وعماد الدين عبد الرزاق  
العباسي/ مجلة جامعة بابل- العلوم الإنسانية/ مجلد ٢٢/  
العدد ٢/ ٢٠١٤ م

٢٨- الصوت والدلالة/ محمد بو عمامة/ مجلة التراث  
العربي/ العدد ٨٥.

## المحتويات

مقدمة المؤسسة:	٥
المقدمة:	٩
المبحث الأول:	١٣
أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للاقتباس:	١٣
ثانياً: ماهية المعاهدة ومشروعيتها:	١٦
ثالثاً: نبذة مختصرة عن حياة مالك الأشر:	٢٠
المبحث الثاني: خصائص الاقتباس:	٢٩
أ- الخصائص الدلالية للاقتباس:	٢٩
ب- خصائص الاقتباس الفنية:	٣٧
المبحث الثالث: وظائف الاقتباس في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشر:	٤٧
أولاً - الوظائف الدلالية:	٤٨
ثانياً: الوظائف الفنية:	٥٣
الخاتمة:	٥٦
المصادر والمراجع:	٥٨